

الملك عبدالعزيز آل سعود وتوطيد الأمن والاستقرار في الحجاز خلال الفترة من ١٣٣٩هـ - ١٣٥٢هـ / ١٩٢٠ - ١٩٣٣م

موضي بنت منصور بن عبدالعزيز

أستاذ مساعد - قسم التاريخ - جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

المستخلص. يعالج هذا البحث الدور الهام والمميز الذي قام به الملك عبدالعزيز يرحمه الله تجاه الأحداث في الحجاز ، والذي كان يعاني من الاضطرابات وتسوده القلاقل والمشاكل وتتشرب فيه الفوضى وعدم الاستقرار بصفة عامة ، لا سيما بعد أن أعلن الشريف حسين بن علي ملكاً على كل العرب في أثناء الحرب العالمية الأولى والذي لم يحظ بتأييد من قبل الحلفاء . كما يستعرض النزاع أو الخلاف بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين بن علي لا سيما بعد أن أعلن الأخير نفسه ملكاً على الحجاز - بل ذهب إلى أبعد من ذلك - حيث اعتبر نفسه خليفة على المسلمين .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا النزاع هو إلحاق حكم الحجاز بالرياض الأمر الذي ولد المرارة لكل من الشريف عبدالله بن حسين والشريف فيصل واللذين سعيا لمقاومة الملك عبدالعزيز عن طريق تحريض بعض الجماعات للانشقاق والخروج على الملك عبدالعزيز سواء كان ذلك في الحجاز نفسه عن طريق نشر الدعاية بأحقية الشريف حسين بن علي بحكم الحجاز ، أو عن طريق تحريض الشمال «شمر» للخروج على الملك عبدالعزيز وذلك بتشجيع ومؤازرة حركة ابن رفاده المنشقة .

لذلك لم يظهر أهل تربة أي ولاء لجيش الحسين بن علي الذي كان يقوده ابنه الأمير عبدالله بن الحسين ، بل كون أهل تربة قوة حربية كبيرة التقت مع قوة كبيرة تحركت من نجد فخرجت القوتان معاً لملاقاة الجيش الذي يقوده عبدالله بن الحسين وكان الجيش الأول الذي تحرك من نجد يقوده الملك عبدالعزيز نفسه. وتمكن الجيشان من هزيمة عبدالله بن الحسين الذي تقهقر مهزوماً إلى الحجاز ولما وصل جيش الملك عبدالعزيز إلى تربة وجدها مخلصة له من دون الحجازيين ، وقدم أهلها الولاء والطاعة لابن سعود الذي دعم هذا الانتصار من سلطته ونفوذه ومهد له الطريق إلى المضي قدماً في تحقيق أهدافه التي ترمي إلى بسط الأمن والاستقرار في ربوع أرجاء البلاد وتوحيد أجزائها المترامية . كما كان هذا الانتصار الكبير الذي أحرزه الملك عبدالعزيز فرصة له لكي يسوي حسابه مع الشريف حسين في مكة ... وخاصة وأن الملك عبدالعزيز أحس بقوته وازدياد نفوذه بعد أن التف حوله زعماء القبائل والعشائر الذين عقدوا مؤتمراً في نجد في صيف عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م ونادوا بابن سعود سلطاناً على نجد وقد ترتب على هذا الإعلان نتائج مهمة منها ضرورة القضاء على أي خطر أو قوة تهدد السعوديين. ومن أهم هذه القوى التي كانت تشكل خطراً على ابن سعود : آل الرشيد في منطقة شمر والشريف حسين في مكة .

بدأ الملك عبدالعزيز أول خطواته الموفقة بعد مؤتمر نجد عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م بالتحرك تجاه منطقة شمر التي كانت تستمد العون والتأييد من الدولة العثمانية التي كانت تعرض ابن الرشيد باستمرار على الاعتداء والهجوم على الدولة السعودية في الرياض ، لذلك تقدم الملك عبدالعزيز نحو منطقة جبل شمر وحاصر مدينة حایل حصاراً شديداً ، فاضطر أميرها طلال بن الرشيد إلى التسليم، وبذلك ضم السعوديون أمارة ابن الرشيد ومنطقة شمر إلى بلادهم . وكان هذا الانتصار مشجعاً لآل سعود للقضاء على خطر الشريف حسين في الحجاز .

وقد حاولت انجلترا بكافة السبل أن تهدىء من الموقف وتحسن العلاقات بين الطرفين ، فعقدت بينهما اجتماع في الكويت عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م يسمى «بمؤتمر

الكويت» ، غير أن هذه المحاولات باءت كلها بالفشل .

وتقدم ابن سعود يريد ضم الطائف واستطاع أن يدخلها رغم محاولات الشريف حسين في صدّه عنها بالقوة المسلحة بالأسلحة الحديثة وهكذا تمت الخطوة الثانية بالسيطرة على الطائف الغنية بثرواتها الزراعية وبسكانها العديدين ، كما أنها من الناحية الجغرافية والاستراتيجية تعتبر مفتاح الطريق إلى مكة .

ازدادت الأحوال في الحجاز اضطراباً ، فعزل الأعيان الشريف حسين الذي وجد نفسه أضعف من أن يعارض إرادة الأعيان ، فتنازل لابنه علي ، غير أن هذا الأمير وجد نفسه في نفس موقف والده ، فخرج من مكة واتجه إلى جدة ، فاستطاع الملك عبدالعزيز أن يدخل مكة بدون قتال في عام ١٣٤٣هـ / ١٦ أكتوبر عام ١٩٢٤م . وبعد أن اطمئن الملك عبدالعزيز إلى مركزه في مكة اتجه إلى جدة وحاصرها وتمكن من دخولها وبذلك أصبح الحجاز خاضعاً لابن سعود ، وباع أهل الحجاز ابن سعود ملكاً عليهم ، وبذلك أصبح لقبه الجديد «ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها» ، وبدأ الملك عبدالعزيز منذ ذلك الوقت في تدعيم نفوذه وسيطرته على الحجاز والعمل على القضاء على الفتنة والدسائس وإعادة الأمن والاستقرار فيه ، وهذا ما سنحاول بحثه في هذا الموضوع الذي اخترنا عنواناً له : «الملك عبدالعزيز آل سعود وتوطيد الأمن والاستقرار في الحجاز خلال الفترة من ١٣٣٩ - ١٣٥٢هـ / ١٩٢٠ - ١٩٣٣م» .

كان الحلفاء الذين انتصروا في الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م قد فكروا في طريقة تحفظ لهم الهيمنة والسيادة على البلاد العربية ، وعلى الأخص منها منطقة الشرق العربي ، فوضعوا نظاماً عرف باسم «نظام الانتداب» ، فوضعت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ، كما وضعت فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني ، وكان هذا النظام تعديلاً لاتفاقية سايكس - بيكو السرية ، التي اتفق عليها الحلفاء عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م ، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى وذلك لتقسيم البلاد العربية فيما بينهم . وجاء نظام الانتداب بعد نهاية الحرب العالمية الأولى في اتفاقية سان

ربيعو عام ١٣٣٩هـ / أبريل ١٩٢٠م التي تعتبر التعديل القانوني لاتفاقية سايكس - بيكو ، ومن ملحقات هذه الاتفاقية الأخيرة إنشاء أمانة صغيرة تحت إشراف بريطانيا عرفت باسم «أمانة شرق الأردن» إرضاءً لأسرة الشريف حسين بن علي وأبنائه الأمير عبدالله والأمير فيصل ،... وكان الأمير عبدالله هو المعروف في الاتصالات التي جرت بين والده الشريف حسين والانجليز وممثلهم السير هنري مكماهون في القاهرة في أثناء الحرب العالمية ، وهذه المحادثات هي التي عرفت في التاريخ باسم محادثات الحسين - مكماهون ، التي كان الغرض منها محاولات بريطانيا كسب العرب في جانبها في الحرب ضد الأتراك . أما الأمير فيصل بن الحسين ، فهو الذي قاد جيشاً في أثناء الحرب ودخل به دمشق حيث كون له مملكة عربية في سوريا ، لكن سرعان ما جاء الفرنسيون بعد اتفاقية سان ريمو وطردوه عن سوريا التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي منذ عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م .

لقد كان الأمير عبدالله بن الحسين وأخوه فيصل يحسان بالمرارة والأسى لعوامل شتى :

أولاً : لضياع الحجاز من الأسرة الهاشمية ، بعد أن استعاده الملك عبدالعزيز وبسط فيه الأمن والاستقرار .

ثانياً : لأن أملهما قد خاب ، ولم يتمكن آل الشريف حسين من حكم الشام التي وضعت تحت الانتداب البريطاني .

وكان الانجليز يحسون بهذه الروح التي تسيطر على الأميرين وخاصة عبدالله بن الحسين الذي لم يستطع أن يكتم غيظه ، ويبدل شتى الطرق للانتقام أولاً من الفرنسيين الذين طردوا أخاه فيصل من سوريا ، وثانياً محاولة زعزعة الاستقرار وتقويض أركان الحكم الذي أرسى دعائمه الملك عبدالعزيز ، فبدأ ببث الفرقة والشقاق وإشاعة الفوضى في ربوع الحجاز ، ظناً منه أن ذلك سيمكنه من العودة إلى الحجاز . ذلك أن الانجليز الذين أحسوا بهذه الروح العدائية التي تسيطر على الأمير عبدالله بن الحسين ، رأوا أن

الأصوب تعويض بعض أبناء الشريف حسين ببعض المناطق العربية التي أصبحت تحت الإشراف البريطاني بموجب صك الانتداب ، لذلك عرض السيد تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك على الأمير عبدالله بأن يحكم أمانة شرق الأردن ، وأن يكون أخوه فيصل ملكاً على العراق وذلك تجنباً للمشاكل التي قد تنشأ بين الأسرة الهاشمية والملك عبدالعزيز في الجزيرة العربية من جهة ، وبين الهاشميين والفرنسيين في سوريا من جهة أخرى .

وكان في اعتقاد بريطانيا أن عبدالله بن الحسين سيقنع بأمانة شرق الأردن ويقبل بحكمها ، لكن سرعان ما تبين أن أطماع الأمير عبدالله بن الحسين أكبر من ذلك بكثير ، إذ مازال يرثون بصره جنوباً نحو الحجاز لزعة استقراره وأمنه ، وذلك بإرسال رجاله وجواسيسه إلى الحجاز وتكوين الجمعيات والعمل على نشر الفوضى والاضطراب ، الأمر الذي جعل الملك عبدالعزيز يتصدى لتلك المحاولات بقوة ، ويتعامل مع تلك الأحداث بيقظة خاصة في منطقة الحدود بين البلدين .

لقد تفاقم الوضع وازداد التوتر بعد أن تكررت غارات العشائر بين الجانبين على الحدود ، مما كان لذلك أسوأ الأثر على حالة الأمن في منطقة الحدود بين أمانة شرق الأردن من جهة ، ونجد والحجاز من جهة أخرى ، الأمر الذي قد يؤدي إلى صدام مسلح بين الطرفين في أية لحظة وهو ما تخشى بريطانيا حدوثه وتحاول منعه باستمرار ، لذلك تعجلت التدخل يدفعها إلى ذلك عوامل عدة :

أولاً : كانت بريطانيا تريد أن تحافظ على صداقة الطرفين ، خاصة وأنها اقتنعت بقوة الملك عبدالعزيز والتفاف القبائل العربية حول زعامته وقوة تأثيره عليها ، كما اعترفت بريطانيا بتأييد أهل الحجاز الكامل للملك عبدالعزيز وأنهم على استعداد تام لنصرته والوقوف معه ضد أعدائه في أي مكان وزمان . لذلك قررت بريطانيا بأنه من الخير لها أن تعتمد على صداقة الملك عبدالعزيز ، كما أنها باتت تؤمن بقوة تأثير الملك عبدالعزيز على زعماء وأمراء المشيخات العربية في ساحل الخليج ، لأنها في هذا الجانب أيضاً تريد

المحافظة على مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية في الخليج العربي والمحيط الهندي ، وأية محاولة منها للوقوف في جانب الأمير عبدالله بن الحسين يعني أنها تغضب الملك عبدالعزيز وهو الأمر الذي تخشاه على مصالحها التجارية والاقتصادية في الخليج العربي والمحيط الهندي .

ثانيًا : من ناحية أخرى كانت بريطانيا أيضًا تحاول منع الصدام المسلح بين الطرفين لأنها كانت تريد المحافظة على الشريط الطويل الممتد من أعالي النيل إلى أعالي الفرات ، وهذا الشريط يشمل مصر وفلسطين وشرق الأردن والعراق ، وهي أصبحت تسيطر على هذا الشريط بعد نهاية الحرب العظمى الأولى حماية لمصالحها الاقتصادية والإقليمية في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر بذراعيه قناة السويس وخليج العقبة ومن ثم إلى داخل المحيط الهندي .

ثالثًا : أن بريطانيا خشيت من مغبة ازدياد حجم القبائل والعشائر على حدود البلدين وتأثيرها ، حيث أن هذه الغارات بدأت تتخذ شكلًا نظاميًا يهدد بالمواجهة المسلحة في أية لحظة ، وقد يضطر هذا الأمر القوات السعودية التي تعمل بمبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع ، إلى مهاجمة أمانة شرق الأردن لتأمين حدودها ولمنع حدوث أية قلاقل من شأنها تهديد الأمن والسلم والاستقرار في المنطقة الجنوبية خاصة بلاد الحجاز. لذلك كلفت بريطانيا قوة الطيران البريطانية في شرق الأردن بمراقبة مناطق الحدود ومسح المنطقة بين الحين والآخر ، والتأكد من خلو المنطقة من أية قوات مهاجمة . كما نشرت قوة عسكرية صغيرة على طول الحدود مزودة بوسائل اتصال سريعة - لاسلكي - كان لها أثر كبير في الحد من هذه الغارات وإن لم تمنعها كلية.^(١)

رابعًا : رأت بريطانيا أنه من الحكمة والصواب العمل على التوفيق بين البلدين ، فكلفت بعقد مؤتمر ترسي فيه قواعد التقارب بين حكومة الملك عبدالعزيز في نجد والحجاز من جهة ، وحكومة شرق الأردن من جهة أخرى ، وذلك في عام ١٣٤٩هـ /

يونيو ١٩٣٠م إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل ، وانفضت هذه الاجتماعات دون التوصل إلى نتيجة تذكر ، خاصة وأن قضية التعويضات وقفت حجر عثرة في سبيل تقدم هذه المفاوضات وحالت دون الوصول إلى اتفاق وحل يرضي جميع الأطراف ، وتبعاً لذلك تجددت حوادث الحدود بين قبائل الطرفين.^(٢)

من الواضح والثابت أن الأمير عبدالله بن الحسين لم يكن راضياً كل الرضى عن محاولات تحسين العلاقات وتهئية الموقف مع الملك عبدالعزيز في نجد والحجاز ، وكان يعتقد في قرارة نفسه أن تحسين العلاقات مع نجد والحجاز من جهة والوساطة والتدخل البريطاني من جهة أخرى سيكون عقبة كأداء في سبيل تحقيق أهدافه وأطماعه في الحجاز، لذلك نجد أنه كان يراوغ في مفاوضات ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م ويحول دون إيجاد تسوية دائمة تعمل على تحسين العلاقات بين الطرفين ، لذلك أخذ على عاتقه الانفراد بمقاومة الملك عبدالعزيز ، والعمل على الاستيلاء على الحجاز بوسائل أخرى مختلفة منها أنه شرع يبحث منذ ذلك الوقت عن أنصار يستخدمهم لتحقيق أهدافه ومآربه.^(٣)

أشارت بعض المصادر بأن عبدالله بن الحسين اتصل بأحد الشخصيات الموجودة في الحجاز ويدعى الحسين الدباغ ، وهو من أصل مغربي ، ولد في الحجاز واستوطن به^(٤) ، وحاول الأمير عبدالله إقناع «الدباغ» بالعمل لمصلحة الهاشميين لمحاولة العودة إلى الحجاز مرة أخرى ، وأن يتبع في ذلك أساليب مختلفة منها مهاجمة الدعوة السلفية ومناوأة الملك عبدالعزيز ومحاربة النظام الذي أرسى قواعده ودعائمه في نجد والحجاز. كما طلب لتنفيذ هذه الخطة تأليف جبهة سرية للمعارضة وبث أفكار دعوتهم بين أهل الحجاز. وطبقاً لبعض الروايات أن «الدباغ» كون حزبا صغيرا كان نواته بعض أفراد أسرة الشريف حسين وبعض أبناء أسرة «الدباغ» في الحجاز، وأطلق على هذا الحزب السري الصغير «حزب الأحرار الحجازي». وكان عبدالله بن الحسين قد تعهد بتزويد هذه الحركة بالمال والعتاد^(٥) ، حتى يكتب لهم النجاح. كما وجه عبدالله بن الحسين بتأسيس فروع لهذا الحزب في جهات مختلفة خارج الحجاز منها مصر ومصوع واليمن . وكانت الجهود ونجاحها في هذا الشأن محدودة الجانب ، ذلك أن فروع هذا الحزب في مصر مثلاً

لم تأت بنتائج تذكر إذ لم ينضم لهذا الحزب سوى عدد محدود من بعض الحجازيين^(٦) الذين جاءوا إلى مصر في فترة النزاع بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين حول الحجاز^(٧)، أما مصوع وعدن وصنعاء وهي المناطق التي تحرك إليها «الدباغ» لتأسيس خلايا فيها لهذه الدعوة^(٨)، فلم تسفر عن شيء يذكر من ناحية الدعم والتأييد، وغاية ما هناك أن «الدباغ» كون خلايا صغيرة في جزيرة كمران ومدينة اللحية، وهي المناطق التي كانت تخضع لنفوذ الأدارسة في عسير^(٩)، كذلك وصل «الدباغ» إلى اليمن واتصل بالإمام يحيى حميد الدين في صنعاء يطلب منه الدعم والتأييد، إلا أن الإمام يحيى تحت إصرار وإلحاح «الدباغ» أحال هذا الأمر إلى ابنه أحمد ومحمد، كان أحمد وليا للعهد، بينما كان محمد أميراً على الحديدة والواضح أن اليمن لم تبد حماسة كبيرة لدعوة «الدباغ»، فالأمير أحمد سمح لهم بالعمل في نطاق معين وسمح «للدباغ» بنشاط محدود ونشر دعايتهم في مجال ضيق، واجتذاب بعض اليمنيين^(١٠) للحزب إن أمكن ذلك. فضلاً عن ذلك وطبقاً لبعض الروايات أن الدباغ التقى بسليم بك قائد قوات الإمام يحيى في الحديدة وعرض عليه قيادة الحركة في مقابل منحه مبلغاً كبيراً من المال، فضلاً عن منصب عسكري يتقلده بعد نجاح الحركة، ولكن سليم بك رفض هذا العرض^(١١). ولم يظفر الدباغ في هذه الجولات إلا بدعم محدود من الأدارسة الذين حاول «الدباغ» إقناعهم بالانضمام إلى هذا الحزب، غير أنه كان تأييداً محدوداً لم يأت بنتائج تذكر.

استمر «الدباغ» في محاولاته المتعثرة، ولم يكتف بالتحرك في داخل المنطقة العربية وما حولها، بل أجرى سلسلة من الاتصالات مع بعض الحكومات الأوروبية، فاتصل أولاً بالحكومة الإيطالية عن طريق المستعمرة الإيطالية في أريتريا وعاصمتها «مصوع»، وذلك لكي تمد إيطاليا هذه الحركة بالمال والسلاح، كما أجرى اتصالاً بالحكومة البريطانية عن طريق حاكم مستعمراتها في عدن^(١٢)، إلا أن من الواضح أن هذه الاتصالات والجهود لم تسفر عن شيء مثمر، كما الثابت أن لبريطانيا رأي واضح في هذا الشأن. ومما يؤكد تعثر جهود «الدباغ» وفشله أن الدباغ عندما ذهب إلى عمان

لعرض نتائج اتصالاته وزياراته ، اقترح حلولاً جديدة لزعزعة الأوضاع في الحجاز ويتمثل ذلك في الخطط التالية :

أولاً : دفع بعض العناصر إلى جهة شمال الحجاز لأحداث بعض القلاقل والثورات هناك ، ويقود هذه العناصر اثنان من رجال الشريف حسين في الحجاز هما أبو طليقة وابن رفاده . وابن رفاده هذا سيلعب دوراً هاماً في المرحلة التالية لا يقل عن الدور الذي يقوم به «الدباغ» وهو «حامد بن رفاده» كان شيخاً لقييلة بلي ، وهي بطن من قضاة اليمانية التي تقطن عادة في جهة من جهات تهامة الحجاز بين العلا ومدائن صالح والوجه وضبا وكان ابن رفاده قد خرج على حكومة الملك عبدالعزيز بعد استرداد الحجاز ، فوجهت إليه قوة لإخضاعه ، إلا أنه فر إلى مصر عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م ، وهناك اتصل به الدباغ وحثه على القيام بحركة عصيان في شمال الحجاز قائلاً له «ازحف إلى بلادك فاتحاً وسترى الثورة على ابن سعود تتجاوب أصداءها في عسير وبين قبائل الحجاز وغيرها ، وأحس الدباغ بأن هذا الكلام صادف هوى في نفس حامد بن رفاده ، ولذلك قرر المجتمعون تكليف حامد بن رفاده وأحد أنصاره ويدعى محمد بن عبد الرحيم أو أبو طليقة بأن يتوجها بجماعتهما إلى شمال الحجاز عبر شرق الأردن لاستمالة شيوخ القبائل الحجازية والتمهيد للثورة .

ثانياً : من الحلول الأخرى التي اقترحتها الدباغ على الأمير عبد الله بن الحسين إحداث ثورة في عسير قبل قيام ابن رفاده بحركته في شمال الحجاز ، على أن تكون القحمة (على البحر الأحمر) مركزاً للتمرد ، واعتماداً على قبائلها الذين يزيد عدد المقاتلة فيهم عن ٣٠٠ مقاتل.^(١٣)

ثالثاً : اغتيال الملك عبدالعزيز^(١٤)

لقد بارك الأمير عبد الله بين الحسين في عمان هذه الحلول التي قدمها الدباغ ، كما أيدها على بن الحسين (ملك الحجاز سابقاً في المنفى) ، وتم تزويد الدباغ بالمال والعتاد ، وبعث أعضاء الحزب إلى الهند وأندونيسيا ومصر لجمع التبرعات لإنقاذ الحجاز - على

حد قولهم وزعمهم^(١٥) - كما اتصل عبدالله بن الحسين بالخدوي عباس حلمي ، الذي كان خديويًا على مصر وعزلته بريطانيا عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م بعد دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول الوسط ، وكانت الصداقة تجمع بينهما ، خاصة وأن الخديوي عباس حلمي كان يعيش نفس مأساة الأمير عبدالله بن الحسين وأسرته وإن اختلفت الأسباب ، فهما يتفقان في المصير الذي آلت إليه حالة كل منهما ، والأمير عبدالله يعرف نقطة ضعف صديقه الخديوي عباس ، ويعلم مفتاح شخصيته المتطلعة إلى الحكم في أي جهة ، وأي مكان من الأرض ، وبأي ثمن ، ولديه من المال ما لا يضمن ببذله لتحقيق أمنيته في تأسيس مملكة لنفسه وحتى لو بنيت على الوهم وشيدت على دعائم من الأماني^(١٦).

ومهما يكن من أمر فإن الأمير عبدالله أطلع الخديوي عباس على مخطط الحزب وشرح له الحركة وأهدافها ، وغايته من تحرير الحجاز ، وأوضح له أنه على كامل الاستعداد هو والحزب على الموافقة على مد الحزب بالمال في مقابل أن يأخذ له البيعة من الحجازيين ليكون ملكا على الحجاز . وقد صادف هذا العرض هوى في نفس الخديوي عباس حلمي فاستجاب للعرض ، وتعهد ببذل المال ، كما دفع مبلغا كبيرا من المال لشراء الأسلحة ، وتعهد بإرسال المزيد والمزيد من الأموال بعد ذلك ، وبهذه الأموال أو المساعدة تمويل الحزب ، وتقوى مركز الحركة في سبيل تنفيذ مخططاتها ، كما نشط الأعضاء للعمل^(١٧).

توجه الدباغ مرة أخرى إلى مصر وياشر أعضاء فرع الحزب في مصر ، كما التقى بابن رفاة هناك عدة مرات لتنفيذ ما اتفق عليه مع الأمير عبدالله بن الحسين في عمان ، وهو القيام بحركة في شمال الحجاز وبالتعاون مع أبو طقيقه كما سبق القول^(١٨) . توجه الدباغ من مصر إلى مصوع لتأمين السلاح الذي تم التفاهم عليه مع المسئولين الإيطاليين على شرائه بواسطة مرزوق قراره^(١٩) ، ثم توجه من مصوع إلى عدن ومنها إلى لحج ، ومن هناك رفع تقريراً للأمير شاكر بن زيد يشرح له فيه نشاطه وجولاته وما أسفر عنها ، ومما جاء في هذا التقرير ما يلي :

«كتبت إليكم من مصر ثم وصلت إلى مصوع فوجدت الأمر كما يجب ، وقد اعتمدت اللجنة مركزا للتحرك ولا بد أن تعلمون قبائلهما متأججة، وبينهم وبين رجال ألمع حلف ومصاهرة ، والمقصود أن البوادر تدل على النجاح - إن شاء الله تعالى - وقد أرسلنا ثلاثة رسل مهمين جدا : واحد لقبائل الجنوب الحجازي ، والثاني لقبائل الساحل ، والثالث لعسير ، وسيسافر إلى المسارحة أحد رجال الحزب ، وفيما تجددونه في كتاب سكرتير الهيئة (الحزب الأحرار الحجازي) بعمان التفصيل اللازم.. نحن قد شرعنا في الأمر ، والنتيجة أكبر مما نتصور، ولكن الدفعة التي اتفقنا على تحويلها برقيا لم تصل ، وقد كتبنا إلى حامد باشا في لوزان والسكرتير لديكم برقية بالنتيجة التي رأيناها حسب الاصطلاح الذي اتفقنا عليه . ومضت الأيام ولم نتناول شيئا ، ونحن مكتوفون ومتطلعون جدا، أرجوكم أن تحذروا حامد باشا - الوادي - من الإهمال وليتذرع بالحزم والهمة .. وأرجو ملاحظة الكتاب الأخير المرسل لكم من هنا وملاحظة تنفيذه بالدقة المتناهية ، وإذا كنا نريد الانتظام في الأعمال ، وحركة الشمال يجب أن تكون بعد حركة الجنوب فورا ، وهيئوها ، وإذا ابتدأت تبرقونا بالعنوان المعروف (الشدي) والإمضاء (سعيد). هذا وقد اختار فرع الحزب أن نكتب إلى الشريف (شرف) ليحضر إلى عدن لحضور المؤتمر الوطني الخطير بلهجة سوف لا تدعه يتأخر ، وتجعله يسرع للحضور، وأفهمناه الطريقة السرية التي سيسافر باسمها ويصلنا . وسنسحب يوم وصول الكتاب تحويلا بخمسة عشر ألفا أو عشرين ألف جنيه ، وعند وصوله تفهمه باللازم، وتدعوه بمرافقة الحركة. هذا رأي فرع الحزب هنا ، وعلى كل سيصل أمرا للجنة المركزية عن هذا الشأن، الرجا أن تقبلوا الأمر كما يليق بالحزم والنجاح والسرعة والكتمان».(٢٠)

لقد أشارت المصادر بأن حامد بن سالم بن رفادة ومعه محمد بن عبدالرحيم أبو طقيقة ورفاقهما توجهوا من مصر عن طريق السويس أواخر عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م، كانت محطة ابن رفادة الأولى النقب - مكان بين السويس والطور - ثم انتقلوا إلى الخضر ، مذبذب الولفة ، ومضوا في الطريق الساحلي بين البحر الأحمر والجبل حتى وصلوا إلى طابا آخر نقطة في الحدود المصرية ، وأبرزوا الجنود المخفر المصريين وثائق

مرور رسمية استخرجها لهم أحد أعوانهم بالسويس يدعي محمد رشيد فتوح الكبير ، وتابع ابن رفاده ورفاقه سيرهم في محرم عام ١٣٥١ هـ / مايو ١٩٣٢ م ، فمر ابن رفاده بقرب العقبة ودخلها منفردا مع محمد بن عبدالرحيم أبو طقيقة لقضاء بعض حاجاتهما ، ثم رحل بجماعته إلى الشريح ، وأقام هناك أياما مع جماعته يدبرون أمرهم ويتصلون ببعض أنصارهم وقبائلهم^(٢١) ، في حين أن الوثائق الرسمية المصرية التي تناولناها عن هذا الموضوع تذكر «أن ابن رفاده يقيم جنوب العقبة على الحدود الفاصلة بين شرق الأردن والحجاز ، ولم يدخل سيناء منذ عدة سنين ، لكن من غير المعقول أن شخصا معروفا مثل ابن رفاده يقضي وقتا في سيناء لتنظيم حملة من دون أن تصل أخبار هذه الحملة إلى مسامع المحافظة وابن رفاده كما هو معروف شيخ قبيلة بلي التي لم يدخل أحد من أفرادها سيناء منذ شهر أبريل الماضي (تاريخ الوثيقة ١٤ يونيو ١٩٣٢ م) .. وليس صحيحا أن الشيخ ابن رفاده زحف بـ ٤٠٠ - ٤٥٠ رجلا مسلحا في سيناء واجتاز الحدود»^(٢٢).

ولعل تفسير هذا التناقض هو أن حامد ابن رفادة ومحمد عبدالرحيم أبو طقيقة عبروا منطقة طابا بوثائق مزورة ، أو أنهما عبروا هذه المسالك كعادة البدو وطريقتهم . أما القول بأن القوة التي كونها ابن رفاده وزحف بها عبر الحدود تكونت في داخل الأراضي المصرية في سيناء فهذا قول غير محقق ودقيق ، ويدل على ذلك كتاب محافظ سيناء إلى مدير عام مصلحة الحدود بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٣٣ م والتصريح الذي أدلى به رئيس مجلس الوزراء المصري - إسماعيل صدقي - بتاريخ ١٨ يونيو والذي يقول فيه ..

«أنه غير صحيح بالمرّة أن قوة البدو التي اجتازت الحدود تكونت في الأراضي في سيناء ، بل إن تقارير مصلحة الحدود قد أجمعت بأنه لم تتكون قوة من هذا القبيل في الأراضي المصرية ، وأن نظام الدوريات والنقاط العسكرية التي تنتشر على طول الحدود لا تسمح بأي حال من الأحوال بتجميع مثل هذه القوات وتسليحها داخل الأراضي المصرية» .

بدأ ابن رفاة اتصالاته ببعض أفراد عشيرته . واستغل بعض الفقراء وذوي الحاجات من بعض أفراد عشيرة النجادات (بطن من الحويطات) النازلة في وادي التيم ورم وحما على مقربة من حدود تهامة الحجاز ، ووصل إليه أشخاص كثيرون من شرق الأردن وتجمع لديه حوالي خمسمائة مقاتل آخرين ، ثم وافاهم مسعود الدباغ بالعتاد والأوراق^(٢٤) ، وكان هو همزة الوصل بينهم وبين المركز الرئيسي للحركة في شرق الأردن .

لقد هال هذا الاستعداد الأمير عبدالله بن الحسين ، واعتقد أن النجاح أصبح قاب قوسين أو أدنى ، مصابا بالوهم الذي جعله يتحدث بعنف موجه الإساءة إلى الملك عبدالعزيز، ويوحي إلى بعض خاصته بأن ساعة البطش قد حانت ، وكان قد طلب في هذا الشأن إلى أحد مدرسي اللغة العربية في جامعة عليكرة ويدعى إحسان سامي - كان في زيارة إلى الأردن عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢ م ، وفي طريقه إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج - طلب منه الأمير عبدالله أن يبلغ الملك عبدالعزيز كرهه له ، وأنه يعده عدوه اللدود ، وأنه لا يألو جهدا ولا يدخر وسعا وأنه سوف ينتهز كل فرصة للبطش به.^(٢٥)

بالطبع كان الملك عبدالعزيز على علم تام بما يجري على حدوده الشمالية والجنوبية، وأنه يراقب الأمور بحذر ويقظه ، كما أن أنباء ما يدبره الأمير عبدالله بن الحسين وأعوانه أمثال الدباغ وابن رفاة كانت تصله أولا بأول، لذلك عندما أحس بأن ساعة الصفر قد اقتربت أصدر أوامره إلى قواته في سائر أنحاء المملكة بالاستعداد الكامل ، كما وجه بمراقبة الحدود الشمالية مع الأردن مراقبة تامة . ولذلك عندما بدأت بعض قوات ابن رفاة بالتحرك إلى داخل مناطق شمال الحجاز ، أصدر الملك عبدالعزيز أوامره بإرسال جيش بقيادة عبدالله بن عقيل للتمركز في منطقة حقل والبديح ، وتسيير جيش آخر يقوده عبدالله بن حلوان ومحمد بن سلطان للتمركز بمنطقة ضبا، كما أمر بوضع الشخصيات التي يعتقد أنه لها صلة بابن رفاة في السجن الاحتياطي في الرياض.^(٢٦)

ذلك أصدرت الحكومة السعودية بلاغا بتاريخ ٢٦ صفر سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ينص على ما يلي :

١ - لا يجوز لأحد من أهل هذه البلاد أن يقوم بدعاية سياسية لأية جهة من الجهات ومن علم عليه شيء من هذا ، فإدارة الشرطة مأذونة بمعاقبته .

٢ - أن الأحزاب والتحريات ممنوعة في هذه البلاد ، وكل من يقوم بها أو يعمل فيها فإن إدارة الشرطة مسئولة عن تعقبه ومنعه من ذلك وتأديبه صيانة لقدسية البلاد، وحفظا للأمن فيها، فعلى هذا فمن أراد العبادة في هذه البلاد، ويطلب المعيشة من طريقها المشروع فهو آمن ، حرام الدم والمال ومن أراد غير ذلك فلا يلوم إلا نفسه . (٢٧)

كان البلاغ الحكومي السعودي إيذانا ببدء صفحة جديدة ، وقف من خلاله الأعيان والقبائل وزعمائها على حقيقة الموقف ، وأدركوا بوعيههم وألموا بتفاصيل الخيانة والدسائس التي تستهدف كيان الأمة ووحدتها ، لذلك بادرت القبائل الحجازية إلى إعلان براءتها من حامد بن رفاة واستنكرت أعماله ، وأعلنت عن استعدادها للعمل على قمع الفتنة . فكتب إبراهيم بن سليمان بن رفاة شيخ قبائل بلي وقتئذ والذي تولى شياخة القبيلة بعد فرار حامد بن رفاة من الوجه عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م ، وهو من أبناء عمومته يتطوع لضربه ، وكتب شيوخ قبائل حرب وجهينة يصفون حامد بن رفاة بالأعور وبشر النفوت ، ويطلبون الإذن لهم بتولي القضاء عليه ، كتب شيوخ الدولة من عتبية - من أعمال الطائف يستأذنونهم في السير لإخماد جذوته، وجاء في كتابهم : .. «حنا - نحن حاربنا الترك وابن رشيد والشريف ما صارت قوايهم - وروائحهم - مثل قواية ابن رفاة فارة منطلقه من حجرها .. وفهمنا أن هذا دسايس يسوونها أهل الشر ما بلغنا من أفعال مال .. عبدالله ومراسيله للعربان الشماليين ، وغير ذلك من الأمور الذي لا تخفي عليك ..» . (٢٨)

إزاء تلك التصرفات والتحرش المستمر ، احتجت الحكومة السعودية لدى حكومة بريطانيا على تصرفات أمارة شرق الأردن ، وسلم فؤاد حمزة وكيل وزارة الخارجية

السعودية - آنذ - إلى القائم بالأعمال البريطاني عام ١٣٥٠ هـ / ١٦ نوفمبر ١٩٣١ م، مذكرة طويلة بخصوص المؤامرة ضد نجد والحجاز ، وربطت المذكرة بين مؤامرة الدباغ وبين الأمير عبدالله والأشراف الموجودين في شرق الأردن . وفي ختام المذكرة ناشدت الحكومة السعودية حكومة بريطانيا بصفتها دولة صديقة أن تمنع استخدام الأراضي الواقعة تحت سيطرتها من أن تكون مقرا للنشاط المعادي للمملكة .

وقد أبرق القائم بالأعمال البريطاني إلى حكومته بفحوى هذه المذكرة ، واستفسر حكومته عما إذا كانت هناك إجراءات قد اتخذتها حكومته في شرق الأردن لإعاقة المتآمرين هناك . وأبلغ القائم بالأعمال البريطاني في السعودية حكومته أيضاً نص مذكرة أخرى تلقاها من الملك عبدالعزيز عام ١٣٥٠ هـ / ٢٧ نوفمبر ١٩٣١ م تشير إلى النشاط غير العادي من الأمير عبدالله بن الحسين على الحدود الشمالية وأخبارا من القادمين من الحدود الشمالية إلى الحجاز .

وأكدت المذكرة اشتراك الأمير عبدالله والأشراف في تمرد حامد بن رفادة . كما عبرت المذكرة عن الاستياء الشديد في نجد والحجاز ولخيانة حاكم شرق الأردن والأشراف وتشجيعهم لمحاولة ابن رفاده . وأشارت المذكرة أيضاً إلى الصعوبات التي وجدها الحكومة السعودية في منع القبائل الخيرية والحجازية من مهاجمة شرق الأردن . وهددت المذكرة بأنه إذا لم تتخذ خطوة حاسمة من شرق الأردن لوضع حد لهذا النشاط غير العادي ، فإن الحكومة لن تستطيع السيطرة على القبائل وقد علق القائم بالأعمال البريطاني بخصوص هذه المذكرة بأنه قد يكون هناك شيئاً خطيراً فعلاً قد حدث ، مما دفع الملك عبدالعزيز إلى التهديد بعدم السيطرة على القبائل . وأرجع ذلك إلى الأنباء السيئة التي ترد من عسير ، وإلى الأخبار المقلقة التي تترامى إلى الأسماع من الحدود الشمالية . وأضاف القائم بالأعمال بأنه إذا ما تحركت القبائل الخيرية فعلاً إلى الشمال فلن يجدي الكلام في إعادة ثقة الملك عبدالعزيز في الحكومة البريطانية إلى الدرجة التي تجعله يوقف الحركة ، ولن تتمكن الحكومة البريطانية في حال قيام القبائل الخيرية ضد شرق الأردن إلا من مقاومتها ، ونصبح بضرورة اتخاذ خطوة جذرية في شرق الأردن على

الأقل ضد الأشراف إذا لم يمكن استبعاد الأمير عبدالله والملك عبدالعزيز في المدى البعيد. (٢٩)

اهتمت بريطانيا بأمر هذه المذكرة اهتماما كبيرا ، فأصدر وزير المستعمرات البريطاني أوامره إلى المندوبين الساميين في أمانة شرق الأردن ومملكة العراق ببذل كل الجهود الممكنة لقمع المؤامرات في مهدها ، وحذر الملك فيصل بن الحسين والأمير عبدالله من الاستمرار في مساعدة المتمردين ، وذلك من منطلق معاهدة الصداقة بين بريطانيا ومملكة الحجاز ونجد .

ومن المحادثات التي دارت بين إيطاليا وانجلترا المناقشة مسألة عسير ، طبقا لخطة التعاون السري بين الحكومتين حيال البحر الأحمر والجزيرة العربية ، تطرق الحديث إلى أحداث حركة ابن رفاده فأبلغ السيد رندل (Rendel) ممثل بريطانيا في هذه المحادثات نظيره الإيطالي السيد بروناس (Prunus) بأن بريطانيا تدخلت في هذه المسألة واتخذت إجراءات حازمة لمنع وصول الإمدادات للمتمردين في شمال الحجاز ، وطلب من إيطاليا عدم تقديم أي دعم لمؤامرة الدباغ ومراقبته في حالة تواجده في مصوع. (٣٠)

اتخذت بريطانيا عدة إجراءات أخرى لقمع حركة ابن رفاده ، منها إغلاق الحدود الأردنية الحجازية في وجه المتمردين ، ومنع دخول الأوراق والأسلحة والمهمات الحربية إليهم عن طريق شرق الأردن إلى الحجاز ، وبعثت بدوريات إلى وادي عربة لمراقبة الحدود، ووقف كل من يشتبه في أمره ، كما أرسلت باخرة حربية إلى العقبة لمساعدة المندوب السامي في فلسطين وشرق الأردن ، حتى يستطيع التضييق على ابن رفاده. (٣١)

أبلغت الحكومة البريطانية عن طريق مندوبها السامي في القاهرة الحكومة المصرية بأمر حامد بن رفاده وبالإجراءات التي اتخذتها ، وتطلب من الحكومة المصرية اتخاذ إجراءات مماثلة ، وتأمّر رجال الأمن في شبه جزيرة سيناء ، لمنع أي حركة يقوم بها المتمرّدون أو أنصارهم في مصر، ومنعهم من اجتياز الحدود المصرية الفلسطينية من أي جهة (٣٢) ، وبضرورة التعاون مع سفن الحكومة البريطانية في منع الإمدادات والعتاد

الحربي الذي قد يرسل من السواحل المصرية إلى المتمردين . (٣٣)

لم تتوان الحكومة المصرية بمجرد علمها بحركة ابن رفاده في اتخاذ كافة التدابير الفعالة في جهات الحدود للقضاء على هذه الحركة ، ومن الوسائل التي اتخذتها السلطات المصرية إبلاغ محافظ سيناء للعمل على ما يلي :

١ - منع العربان من مغادرة شبه جزيرة سيناء للحجاز أو لشرق الأردن .

٢ - إلقاء القبض على كل من يحاول من العربان المسلحين دخول سيناء مع اتخاذ الإجراءات اللازمة لمحاكمتهم بتهمة مخالفة الأوامر الخاصة بمنع حمل السلاح في سيناء .

٣ - التصريح للعربان الغير مسلحين التابعين لسيناء بدخولها ولكن يلزم خفارتهم إلى الدركات الخاصة بهم ، ولا يسمح لهم بمغادرتها في الوقت الحاضر .

٤ - عدم السماح بإخراج أية مواد غذائية أو أسلحة أو ذخيرة من حدود سيناء . (٣٤)

أبرق أيضا مدير عام مصلحة الحدود إلى شُرطة قسم البحر الأحمر بمراقبة الموانئ والسواحل مراقبة شديدة وإحباط أي محاولة تبذل لتموين المتمردين في الحجاز من السواحل المصرية ، وحجز أي سفينة تحمل رجالا أو مؤن وجهتها الحجاز . (٣٥)

أبلغت الحكومة المصرية المندوب السامي البريطاني في القاهرة بكل هذه الترتيبات التي اتخذتها ، وأعربت عن استعدادها للتعاون مع السفن البريطانية في البحر الأحمر وخليج العقبة . (٣٦)

علمت حكومة نجد والحجاز بتلك التدابير التي اتخذتها السلطات المصرية وطلبت من قنصل مصر في جدة إبلاغ شكرها للحكومة المصرية . (٣٧)

أذاع المندوب السامي في فلسطين وشرق الأردن ، بناء على أوامر حكومته بلاغا رسميا يعلن فيه : .. « أن الدولة المتدبة مصممة على السير في خطتها من حيث منع إمداد القائمين في وجه حكومة نجد والحجاز بأي مساعدة مهما كان نوعها ، سواء من

فلسطين أو بواسطة شرق الأردن، وعازمة على تنفيذ هذه الخطة بكل شدة، وبأن الأوامر قد صدرت إلى قوات حكومة جلالة ملك بريطانيا باتخاذ جميع التدابير الضرورية بالاشتراك مع الجيش العربي لأجل تنفيذ هذه الخطة». (٣٨)

وضغط المندوب السامي في القدس على الأمير عبدالله ليحذو حذوه ، فأصدر حاكم الأردن بيانا يقول فيه : .. «تسهيلا للقيام بتنفيذ النظام القاضي بمنع تصدير الحبوب والأوراق إلى نجد والحجاز وتنفيذا لأمرنا الصادر بأن الأشخاص الذين تدخل حركاتهم على أنها عدائية نحو حكومة الحجاز ونجد لا يصرح لهم بدخول تلك البلاد ، نأمر بأنه لا يسمح لأي شخص ليس بحيازته تصريح من قائد الجيش العربي أو من وكيله أن يوجد في شقة الأرض الواقعة بين الحد الجنوبي لشرق الأردن ، تستثنى بلدة العقبة .. ليكون معلوما بأن أي شخص يوجد بعد هذا في هذه المنطقة المنهي عنها ولا يكون بحوزته التصريح الخطي المشار إلى آنفاً ، ولم يتبع الأوامر المبينة فيه يكون عرضة لأن يطلق عليه النار من قبل أفراد الجيش العربي أو من قبل أفراد القوات الإمبراطورية». (٣٩)

لنا أن نتساءل لماذا استثنى بلاغ الأمير عبدالله بن الحسين العقبة أليس معنى ذلك أن حكومة شرق الأردن تبيح لابن رفاة ومن معه بالالتجاء إليها في حالة فشله؟ ونتساءل أيضا لماذا منعت حكومة شرق الأردن تصدير الحبوب والأوراق إلى منطقة الحجاز ونجد؟ . وهل يعود ذلك إلى أسباب تجارية أم يعود إلى روح الانتقام التي تتبعها حكومة شرق الأردن ضد حكومة نجد والحجاز؟

لو لم يكن الأمير عبدالله بن الحسين مشتركا في هذه المؤامرة لما منع تصدير الحبوب والأوراق إلى نجد والحجاز بل لو كان ضدها لسارع إلى العون الاقتصادي أو حتى وقف على الحياد . وسؤال آخر يطرح نفسه ألم يكن البلاغ الأردني كافيا؟ فلماذا صدر بلاغ من المندوب السامي البريطاني؟ .

الواقع أن الملك عبدالعزيز كان قد أصدر أوامره لقواته بالتحرك نحو حدود شرق الأردن، وعندما وصلت هذه القوات على مقربة من الحدود ، خشيت بريطانيا من

احتمال إغارة هذه القوات على أراضي شرق الأردن بعد قمع الفتنة ، لذلك أصدر المندوب السامي البريطاني في فلسطين وشرق الأردن البلاغ السالف الذكر .

استطاع الملك عبدالعزيز أن يقطع على المتمردين أي تعزيزات تصل إليهم من شرق الأردن ، وبعد أن أكمل تنظيم قواته ، ورصد مواقع المتمردين . أراد أن يستدرجهم ، فأوعز إلى بعض رجال قبيلة بلي ، بأن يكتبوا إلى حامد بن رفاة باستعدادهم لمؤازرته فاتصلوا به ، وكتبوه بضرورة القدوم إليهم لتسليمه ضبا . فقام بقواته من الشريح ، ودخل أراضي حقل ، ثم البدع والخرية ، ونزل في تريم ، وأذاع دعائه أنه احتل البلدان الشمالية من الحجاز ، وأسر أمراءها وهزم القوات الموجودة بها وسيطرت على الموقف. (٤٠)

زحفت القوات السعودية على تريم للحاق بالتمرد فنهض ابن رفاة بقواته إلى الوراء ونزل بسفح جبل شار ، ولكن قوات الملك عبدالعزيز تمكنت من تطويقه (٤١) ، ودارت معركة قاسية بين قوات الطرفين ظهر يوم السبت الموافق ٢٦ ربيع أول ١٣٥١هـ / ٣٠ يوليو ١٩٣٢ م . واستمرت حتى غروب الشمس ، وانجلى عن مقتل حامد بن رفاة وابنيه فالحاً وحما ، ومحمد بن عبدالرحيم أبو طقيقة ، وسليمان بن أحمد طقيقة ، ومسعود الدباغ ، وسدت الطرق في وجه من فروا من المعركة فقتلوا جميعاً. (٤٢)

زادت حركة حامد بن رفاة من توتر العلاقات بين حكومة نجد والحجاز وحكومة شرق الأردن ، حيث اعتقدت الحكومة السعودية بأن الأشراف وأنصارهم هم الذين أوقدوا نار الفتنة ودفعوا ابن رفاة للحركة ، وأمدوه بالمال والسلاح ، وبذلوا له الوعود والعهود ، وذكرت مصادرها بأنها حصلت على وثائق رسمية تؤيد ما ذهبت إليه ، ووجه الملك عبدالعزيز رداً بجريدة أم القرى على رسالة الأمير عبدالله بن الحسين التي سبق أن حملها لمدرس اللغة العربية بجامعة عليكرة - إحسان سامي - يقول فيها : .. « أنه يرى الشريف عبدالله صديقه الودود ، لأن جميع الأعمال التي عملها الشريف من أجل ابن

سعود كان لها أحسن النتائج لتقوية مركز ابن سعود ، فقد سبق الشريف عبدالله أن جهز الشريف شاكر والشريف حمود بقوة لاحتلال تربة والخرمة ، فكسرت تلك القوة وغنم ما معها حتى تقوى أهلها على القتال في يوم تربة المشهورة ، ولما انتهى الشريف عبدالله ووالده من حرب الأتراك جمع كل ما كسبه من الترك والألمان وكل ما أهدها لهم الانجليز وسار بهم مع ١٢,٠٠٠ مقاتل ليقدمهم هدية في تربة وغنم ابن سعود تلك الذخائر والأموال وتقوى بها واستولى على الحجاز ، وآخر هدايا الشريف عبدالله ابن رفاده وأنصاره ، وفي نهاية رده دعا الله أن يكون ما يأتي به المستقبل ، كما كان في الماضي ، وأن يديم الله بقاء الشريف عبدالله بمثل هذه الهدايا والنتائج .^(٤٣)

وجهت الحكومة السعودية إلى انجلترا بلاغا بأنها قد تضطر بعد ما حدث ، لاتخاذ التدابير خاصة تجاه شرق الأردن ، إذا لم يوضع حد لهذه الأمور وأصبح شبح الحرب ماثلا على الحدود بين البلدين ، لأن قوات الملك عبدالعزيز لم تبرح أماكنها بعد إخماد الفتنة ، وباتت تنتظر أوامر ملكها ، إما بالرجوع إلى الخلف اكتفاء بما تم من القضاء على حركة ابن رفاده وإما بالتقدم إلى الأمام لاكتساح أمانة شرق الأردن .^(٤٤)

اهتمت بريطانيا لهذا البلاغ وأرسلت إلى أمير شرق الأردن تلح عليه بالتفاهم مع الملك عبدالعزيز ، وتنظيم علاقاته معه في نطاق القواعد الدولية ، وأوحت إلى ملك العراق أن يشاركها في سعيها ، وفعلا أثمرت هذه المساعي^(٤٥) ، واتخذت الخطوات لاعتراف الحاكمين كل منهما بالآخر ، وجرت محادثات بين البلدين انتهت بعقد معاهدة صداقة وحسن جوار عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣ م . تعهد فيها الطرفان بأن يمنع كل منهما استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير القانونية أو الاستعداد لها ، بما في ذلك الغزو وما يكون موجهها ضد السلم والسكينة في بلاد الفريق الآخر . وهنا تحسنت العلاقات بين الدولة السعودية وأمانة شرق الأردن.^(٤٦)

مما تقدم يمكن القول أن نهاية حركة ابن رفاده المحتومة قد ساعدت إلى حد كبير على نجاح الملك عبدالعزيز نجاحا تاما وحاسما في كل المجالات العسكرية والسياسية

والاجتماعية . ولقد أدى فشل هذه الحركة إلى تقوية مركز الملك عبدالعزيز الذي تمكن من بسط نفوذه وسيطرته على كل البلاد ، وقضى على كل الخصوم والأعداء . وقد ساعد ذلك على اكتمال مراحل توحيد أجزاء البلاد وتكوين المملكة العربية السعودية . ذلك أن الحسن الإدريسي الذي كانت أسرته تحكم في عسير منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان يتهدهده فيما مضى خطر الشريف حسين ، كما كان يعاني من تهديد إمام اليمن المستمر والاعتداء على حدوده من آن لآخر ، إلا أنه كان يجد المعاونة باستمرار من الملك عبدالعزيز . لذلك لما كثرت اعتداءات إمام اليمن على عسير لجأ الحسن الإدريسي إلى الملك عبدالعزيز الذي رحب به وعقد معه معاهدة عام ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م أي بعد دخول الملك عبدالعزيز مكة بأقل من عامين . وتقرر في تلك المعاهدة بسط حماية الدولة السعودية على عسير ، ثم تقدم خطوة أخرى سنة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م عندما تقدم الإدريسي يطلب رسمياً ضم عسير إلى الدولة السعودية وبالفعل تم الاتفاق على ذلك ، وأصبحت المملكة العربية السعودية تشمل مملكة نجد وملحقاتها ومملكة الحجاز وأمانة عسير ، وذلك اعتباراً من عام ١٣٥١ هـ / سبتمبر ١٩٣٢ م ، وبعد ذلك بقليل انتصر الملك عبدالعزيز على إمام اليمن يحيى بن حميد الدين ، وعقدت بين الطرفين معاهدة الطائف في مايو عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م التي اعترفت فيها إمام اليمن بحدود المملكة العربية السعودية . وهكذا تكونت المملكة العربية السعودية بالتدريج وعلى مراحل ، بعد أن تمكن الملك عبدالعزيز من القضاء على المشاكل والصعاب التي واجهت الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار تماماً .

الهوامش

- ١ - أم القرى ، ١٠ محرم ١٣٤٩ هـ - ٦ يونيو ١٩٣٠ م .
- ٢ - أم القرى ، ٢٨ ربيع أول ١٣٤٩ هـ - ٢٢ أغسطس م .
- ٣ - عبدالغفور عطار ، صقر الجزيرة - بيروت ١٣٩٢ هـ - رجب ص ١٠٩٠ .

٥ - عبد الحميد الخطيب ، الإمام العادل ، القاهرة ١٩٥١ م ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

٦ - نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

٧ - عبد الغفور عطار ، صقر الجزيرة - ج ٥ ص ١٠٩١ .

8 - F.O. 371/1879 Political Resident at Aden to Secretary of state for Foreign Affairs of State June 35 th 1930.

٩ - محمد بن أحمد العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني - الرياض ١٤٠٢ هـ ، وقد ذكر أسماء الذين اشتركوا في فرع الحزب في عدن وصبيا .

١٠ - نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٣٧ ، ٩٣٨ .

11 - F.O. 371 / 16028 High commissioner for Truns Jordan No. (192/sec) July 27th 1932.

١٢ - محمد العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ٢ ، ص ٩٣٧ .

13 - F.O. 371/16528 Jordan No. (192/sec) July 27th 1932.

١٤ - أم القرى ، ٤ شعبان ١٣٥١ هـ - ٢ ديسمبر ١٩٣٢ م ، أنظر تقرير عبدالعزيز يماني .

١٥ - محمد العقيلي ، المخلاف السليماني ، ج ٢ ، ص ٩٣٧ .

١٦ - أحمد عبد الغفور عطار ، صقر الجزيرة - ج ٥ ص ٩٤٠ - ٩٤١ .

17 - F.O. 361/16028 High commissioner for Truns Jordan No. (192/sec) July 27th 1932.

١٨ - خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز - بيروت ١٩٧٧ م ، ج ٢ ، ص

٥٥٧ .

١٩ - أم القرى ، ٤ شعبان ١٣٥١ هـ - ٢٢ ديسمبر ١٩٣٢ م .

نص الرسالة منشورة بجريدة أم القرى ، ٤ شعبان ١٣٥١ هـ - ٢ ديسمبر ١٩٣٢ م - تقرير عبدالعزيز اليماني ، حول أحداث جيزان ، وثائق رسمية للحقيقة والتاريخ .

٢٠ - خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ج ٢ ، ص ٥٥٨ .

إبراهيم عبدآل عبد المحسن ، تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان ، ومذكرة حوادث الزمان ، الرياض ، بدون تاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ .

٢١ - دار الوثائق القومية رقم ١٢٢ ، العلاقات المصرية السعودية .

22 - A letter from acting director general Major David Wullace to Minister of war and Marine, Jun 16, 1932 wo, 5/1/36.

٢٣ - دار الوثائق القومية ، رئاسة مجلس الوزراء ، ملف عن العلاقات المصرية السعودية ، محفظة رقم ١٢٢ ، بلاغ إسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء إلى محرر الصحف ، الزركلي ، اسكندرية ٦ سبتمبر ١٩٣٢ م .

٢٤ - صلاح المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ - ص ٤٥٦ .

٢٥ - المقطم ، ١٥ ربيع الأول ١٣٥١ هـ - ١٩ يوليو ١٩٣٢ .

عبد الحميد الخطيب ، الإمام العال ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

٢٦ - أنظر أسماء هذه الشخصيات في كتاب محمد بن أحمد العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ٢ ، ص ٩٤٤ - ٩٤٥ .

٢٧ - أم القرى ، ٢٦ سفر ١٣٥١ هـ - ٢ يونيو ١٩٣٢ .

٢٨ - خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، ج ٢ ، ص ٥٥٨ - ٥٥٩ .

29 - F.O. 371/16875 from sir Andraw Ryan to sir Jhan Simon Feb 14th , 1933 .

The Residency sir Ploraune. High commissioner from Egypt, to the President of the council of Ministers Jsmailsidky pacha June 11th 1932 no. 231/47/32.

٣٢ - دار الوثائق القومية نفس المحفظة ونفس الخطاب .

٣٣ - دار الوثائق القومية - محفظة ١٢٢ .

From the residency sir Plorqune to Ismail Sidky Pacha, July 6th 1932 No. 422/96/32.

٣٤ - دار الوثائق القومية ، نفس المحفظة ، خطاب من وزير الحربية والبحرية إلى رئيس الوزراء برقم م ٥٩/٣٢/٠ بتاريخ ١٩/٦/١٩٣٢ م .

٣٥ - دار الوثائق القومية ، نفس المحفظة .

Letter from director general to the minister of war and marine June 27.1932, No. 236/3/5.

٣٦ - دار الوثائق القومية ، نفس المحفظة .

Letter from Ismail Sidky Pasha to high commissioner Plorqune June 1932, No. 92/6.

٣٧ - دار الوثائق القومية ، رئاسة مجلس الوزراء ، ملف عن العلاقات المصرية السعودية ، محفظة رقم ١٢٢ ، بلاغ إسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء إلى محرر الصحف ، بوكلي ، أسكندرية ٦ سبتمبر ١٩٣٢ م .

٣٨ - أم القرى ، ٤ ربيع الأول ، ٨ يوليو ١٩٣٢ م .

٣٩ - الأيام ، ١٠ يوليو ١٩٣٢ م .

٤٠ - أحمد عبدالغفور عطار ، صقر الجزيرة ، ج ٥ ، ص ١٠٨٤ .

٤١ - خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ .

٤٢ - أم القرى ، ٢٧ ربيع الأول ، ١٣٥١ ، ٣١ يوليو ١٩٣٢ م .

٤٣ - أم القرى ، ٢ ربيع الثاني ، ١٣٥١ ، ٥ أغسطس ١٩٣٢ م .

٤٤ - إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن ، تذكرة أولى النهى والعرفان ، ج ٣ ، ص ٤٦٤ .

٤٥ - الأهرام ٢٤ أغسطس ، ١٩٣٢ م .

٤٦ - وزارة الخارجية السعودية ، مجموعة المعاهدات - الرياض ، بدون تاريخ ، ص ٩١ وما بعدها .

The Role of King Abdulaziz in the Stabilization of Al-Hijaz 1339-1352 H / 1920-1933 AD

Moudi M. Abdul Aziz

*Faculty of Arts and Humanities, History Department,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia*

ABSTRACT. This paper examines the situation in the Hijaz region politically and it gives a glance to the Arabian Peninsula which was governed by Ibn Saud in Najd, Ibn Al-Rasheed the Governor of Shammer, and the Idrisi the Governor of Assir.

On the other hand, this paper emphasizes the role of King Abdulaziz in creating the solidarity and stability in the Hijaz region due to the importance of Makkah and Al-Madinah (the two Holy Mosques).

As a matter of fact, King Abdulaziz, faced a lot of disturbance from some Hijazi citizens who associated themselves with Abu-Tugega and Ibn Refadah and Sheikh of Belly tribe in Shammer northern region of the Arabian Peninsula.

Finally this paper shows how King Abdulaziz dealt with these disturbances and explains the smartness and the strength to end the disturbance and ultimately to create the stability in the Hijaz region and the Arabian Peninsula in general.